

أهمية المنهج التكاملي في تعليم اللغة العربية: المرحلة الابتدائية

نموذجاً.

بغدة جيلالي

المركز الجامعي أحمد زبانة غليزان / الجزائر.

.djilalibekhedda@gmail.com

تاريخ النشر	تاريخ القبول	تاريخ الارسال
2018-10-01	2018-04-10	2018-03-15

ملخص

تهدف هذه المداخلة إلى إبراز أهمية اعتماد المنهج التكاملي في تعليم اللغة العربية لتلاميذ المرحلة الابتدائية، وذلك باعتبار أنّ اللغة العربية هي وحدة متكاملة، يخدم كلّ فرع من فروعها الفرع الآخر، وما هذا التقسيم والتجزئة إلّا من أجل تيسير عملية تدريسها، ولكن يبدو أنّ هذا الأمر قد انعكس سلباً على عملية اكتساب المتعلّمين اللغة السليمة، وذلك بعد أن عمد بعض الأساتذة إلى التركيز على بعض الفروع على حساب الفروع الأخرى، وهذا إمّا جهلاً منهم لمبدأ التكامل، أو عدم تمكنهم من اللغة العربية لعدم الاختصاص.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية- المنهج التكاملي- المرحلة الابتدائية.

مقدمة:

إنّ مبادئ التّعليمية الحديثة تعمل على تجاوز المفهوم التقليدي للتّعليم الذي يقوم على مبدأ تلقين المتعلّم المعارف النّظرية جاهزة، ومطالبته باسترجاعها يوم الامتحان إلى تعليم نوعي، يهدف إلى إكساب المتعلّم القدرة على استثمار المعارف والمهارات اللّغوية، وتوظيفها بكفاءة في مواقف تواصلية مختلفة.

وتعدّ طرق وأساليب التّدريس جزءا لا يتجزأ من المنهاج الدّراسي، لأنّها الوسيلة التي يتمّ من خلالها تقديم المعارف والعلوم والخبرات والمهارات للمتعلّمين، وبالتالي فهذه الطّرائق والأساليب تتطوّر بتطوّر المعرفة العلمية، وتطوّر فلسفة التّربية في حدّ ذاتها.

وتتعدّد مداخل تعليم اللّغة العربية في ضوء الاتجاهات التّربوية الحديثة، ولعلّ أبرزها المداخل الثلاثة: التّواصلي، والوظيفي، والتّكاملي، وهذا الأخير هو الذي سنركّز عليه في هذه الورقة البحثية، فما هو المنهج التّكاملي، وما هي أهميته في تعليم اللّغة العربية ؟

مفهوم المدخل التّكاملي:

إنّ مبدأ المدخل التّكاملي في تعليم اللّغات، واللّغة العربية على وجه الخصوص، ينطلق من منظور أنّ اللّغة وحدة واحدة مترابطة ومتماسكة، وليست فروعاً منفصلة عن بعضها البعض، فالمنهج التّكاملي هو «أسلوب لتنظيم الخبرة اللّغوية المقدّمة للمتعلّمين، وتدريسها بما يحقّق ترابطها وتواجدها بصورة تمكّنهم من إدراك العلاقات بينها، وتوظيفها في أدائهم اللّغوي، وذلك من خلال محتوى لغوي متكامل العناصر، ترتبط فيه توجّهات الممارسة والتّدريبات اللّغوية، والقواعد اللّغوية بمهارات اللّغة، ونوع الأداء المطلوب من خلال نصّ شعري أو نثري»¹، فتدريس اللّغة العربية بالأسلوب التّكاملي «هو تعلّم اللّغة وحدة متكاملة متماسكة، لا فروع مستقلّة منفصلة»²، ويتمّ ذلك من خلال إيجاد موقف لغوي متكامل «حيث يُتخذ محورا تُعلّم وتُنمّى من خلاله مهارات اللّغة العربية»³.

مما سبق نخلص إلى أنّ التّكامل هو تقديم اللّغة للمتعلّمين كمادّة دراسية على طبيعتها وحدة متكاملة، وإلغاء الحواجز المصطنعة التي وضعت للفصل بين فروعها، ويكون ذلك من خلال نصوص لغوية متكاملة.

مزايا الأسلوب التّكاملي في تعليم اللّغة العربية:

للأسلوب التّكاملي مزايا عديدة نذكر منها مايلي:

- مناسب لطبيعة المتعلّمين في كافّة المراحل التّعليمية المختلفة.
- يُشبع حاجات المتعلّمين، ويراعي مطالب نموّهم.

- يحقق وحدة المعرفة، ويكسب المتعلم النظرة الموحدة للتعليم، فيحقق بالتالي تعلما أفضل.
 - ينمي التكامل في شخصية المتعلم⁴.
 - يؤدي إلى تعلم الكثير من الحقائق والمعارف المتكاملة، مع إكسابهم القيم والاتجاهات والمفاهيم المفيدة في الحياة.
 - الربط التكاملي بين مهارات اللغة، بحيث يشعر المتعلم بأن اللغة وحدة متألّفة العناصر، متكاملة الأجزاء.
 - يوفر التشويق والتجديد مما يدفع السأم والملل عن المتعلم.
 - إتقان التلاميذ فروع اللغة بطريقة طبيعية تسير وظيفتها واستعمالها⁵.
- وأضاف الدكتور صالح بلعيد قائلا: إن هذه الطريقة:
- «تزيد من إمكانيات الذكاء.
 - تزيد من الدافعية الداخلية.
 - تعلم تقنيات الاكتشاف وحل المشكلات.
 - تجعل المتعلم يحفظ قدرا كبيرا مما يتعلمه»⁶.

فكرة التكامل في تعليم اللغة العربية:

تعدّ فكرة التكامل في تعليم اللغة العربية قديمة تاريخيا، لها جذورها في التراث العربي القديم، حيث نجد أنّ علماء اللغة قد أدركوا هذا الأمر حينما اتخذوا من النصّ الأدبي محورا تدور حوله أنشطة لغوية عديدة، من تفسير مفردات هذا النصّ، وشرح عباراته، والكشف عن صوره البلاغية وأساليبه البيانية، وبعض المسائل النحوية، إضافة إلى الكشف عن بعض مظاهر الحياة الاجتماعية، والتاريخية، والثقافية، وغير ذلك من مؤشرات الحياة⁷.

غير أنّ هناك من يرى أنّ فكرة الاهتمام بالتكامل في تعليم اللغة العربية قد ظهر في العصر الحاضر كمنهج وطريقة، بعد أن تبين عدم جدوى تعليم اللغة وفق المدخل التّفريعي، الذي يقوم على أساس تفتيت الخبرة اللّغوية التي تُقدّم للمتعلمين، فالاعتقاد الذي كان سائدا من قبل هو أنّ الأداء اللّغوي للمتعلمين لن يكون بشكل سليم إلا بدراسة كل فرع من فروع اللغة على حدة، وفي حصص مستقلة لكلّ منها، وفي هذا الاتجاه تفتيت وتجزئة للخبرة اللّغوية التي يُفترض اكتسابها بشكل متكامل⁸.

أسس المنهج التكاملي في تعليم اللغة:

أسس التكامل عديدة، نذكر منها:

أ- الأسس الفلسفي:

يقوم على أنّ اللغة وحدة واحدة متكاملة، تتكوّن من مهارات الاستماع، والكلام، والقراءة، والكتابة، وأنّ هذه المهارات مترابطة وغير منفصلة عن بعضها البعض، وعليه فإنّه يستوجب «التعامل مع هذه المهارات مجتمعة من دون تغييب أو تأخير لأي منها»⁹.

ب- الأسس النفسي:

- في هذه الطريقة تجديد لنشاط المتعلّمين، وتشويق لهم، ودفع للسّام والملل عنهم، وذلك لأنّ العمل متنوّع ومتلوّن.
- العقل يعتبر وحدة متكاملة، وليس مجموعة ملكات متعدّدة.
- فيها تثبيت للمعلومات بسبب تكرارها، وفي ذلك زيادة في الفهم¹⁰.
- نظرية الوحدة تقضي بفهم الموقف الذي يمثّله الموضوع فهما كلياً أولاً، ثمّ الانتقال بعد ذلك إلى فهم الأجزاء، وهذا يساير طبيعة الذهن في إدراك الأشياء والمعلومات¹¹.

ت- الأسس التربوية:

وهي كثيرة، نذكر منها:

- تضمن النمو اللّغوي المتكامل والمتعادل عند المتعلّم.
- لا يطغى فيها لون على لون آخر، لأنّ كلّ الألوان تُمارس من خلال موقف واحد، وبالتالي تتكامل أنواع الأنشطة مع بعضها البعض.
- يسهّل التّكامل المعرفي، ويُسهّل التّقويم في ضوء أسس علمية سليمة.
- التّعامل مع اللغة كوحدة متكاملة تتألف فروعها المختلفة ليشدّ بعضها أزر بعض، وأنّ المواد الدّراسية وحدة متكاملة تتمّ بعضها، وتتفاعل فيما بينها لتحقيق هدف موحّد، وهو بلوغ مستوى معيناً.

ث- الأسس اللّغوية:

إنّ تعليم اللغة بالمنهج التّكاملي يساير الواقع اللّغوي والاستعمال الحقيقي للغة، فالنّص المتخذ كسند يعدّ وسيلة يتعلّم المتعلّم من خلاله واقعا لغويا ملموسا، يظهر عند استعماله اللغة أثناء الحديث والكتابة والقراءة، فاللغة حينئذ تُستعمل وحدة متكاملة في كل مستوياتها: الصّوتية،

والتَّحْوِيَّة، والصَّرْفِيَّة، والتَّرْكِيْبِيَّة، والبلاغِيَّة، وغيرها، بمعنى «أنَّنا لا نستشير القاموس أوَّلا ليمدَّنَّا بالمفردات الَّتِي نحتاج إليها، ثُمَّ نستشير القواعد لنفهم كيف نؤلِّف الجمل، ونضبط الكلمات، بل يتمَّ تعبيرنا بصورة سريعة، فيها تكامل وارتباط»¹³.

ج- الأسس المعرفية:

المنهج التَّكاملي في تعليم اللغة العربية يساعد المتعلِّم على إقامة علاقات بين مجالات المعرفة المختلفة، ويحاول إيجاد معنى وهدف للمعرفة ككلّ، لأنَّ التَّكامل يهتمَّ ببناء المعرفة ووحدة أجزائها.

ح- الأسس الوظيفية:

إنَّ منهج التَّكامل بين فروع اللغة مسير للاستعمال اللُّغوي، «لأنَّنا عند استعمال اللغة كتابة أو مشافهة تكون وحدة متكاملة»¹⁴، فنحن لا نفصل عند الكتابة أو الحديث بين هذه الفروع، إذ نراعي الجانب الصَّوتي، والتَّرْكِيْبِي، والصَّرْفِي، والدَّلالي وغير ذلك في آن واحد.

خطوات تعليم اللغة العربية وفق المنهج التَّكاملي في مرحلة التَّعليم الابتدائي:

إنَّ الهدف من تعليم اللغة العربية منذ المرحلة الأولى من التَّعليم هي تمكين المتعلِّم من أدوات المعرفة عن طريق تزويده بالمهارات الأساسية الأربعة، وهي: الاستماع، والحديث، والقراءة، والكتابة، ويتمَّ «التدرِّج في تنمية هذه المهارات على امتداد صفوف هذه المرحلة، بحيث يصل التَّلميذ في نهايتها إلى مستوى لغوي يمكنه من استخدام اللغة استخداما ناجحا عن طريق الاستماع الجيّد، والنَّطق الصَّحيح، والقراءة الواعية، والكتابة السَّليمة»¹⁵.

ويتمَّ تدريس فروع اللغة العربية بموجب هذا الأسلوب وفق الخطوات الآتية:

- يختار المعلم نصّا مناسباً لمستوى المتعلِّمين، على أن يكون حاملاً قيماً أدبية، أو أخلاقية، أو غيرها.

- قراءة النَّص قراءة نموذجية من المدرِّس، وبعض المتعلِّمين.

- شرح المفردات الصَّعبة، والتَّرَاكيب الغامضة فيه.

- التَّطبيقات اللُّغوية، وتشمل جميع فروع اللغة العربية، إذ يقرأ المتعلِّمون النَّص حتَّى إذا وصلوا إلى تركيب نحوي له صلة بموضوع درس النَّحو، أوقفهم المدرِّس وسألهم عن خصائصه، وذلك من خلال تحليله بعد كتابته على السَّبورة، وهكذا مع كلِّ التَّرَاكيب المتَّصلة بدرس النَّحو لذلك اليوم، وهذه المعالجة لا تقتصر على النَّحو وحده، بل قد تشمل فروعاً أخرى كالإملاء، والصَّرْف، وشرح بعض المقولات أو العبارات وما تعنيه، وبذلك يكون المتعلِّم قد مارس التَّعبير الشَّفوي، وقد يطلب المدرِّس من المتعلِّمين بيان آرائهم حول فكرة أو قيمة معيَّنة وردت في النَّص كتابة على دفاترهم، فيكون قد مارس

التعبير الكتابي، وقد يرد في النص أبيات من الشعر، فيطلب من المتعلمين كتابتها وحفظها ليمارس المحفوظات، وهكذا تكون معالجته شاملة لفروع اللغة جميعا، وليس شرطا أن يكون كل ذلك في حصّة واحدة، بل قد تستغرق معالجة النص مدة أسبوع أو أكثر أو أقل، بحسب طبيعة الموضوعات المطلوب تناولها.

- بعد ذلك كله ينهي المدرّس الدرس بخلاصة تتضمن جميع ما درسه المتعلمون من مفاهيم من مختلف الفروع اللغوية، وتكتب على السبورة بخط واضح وجميل، ثم يطلب من المتعلمين كتابتها في دفاترهم¹⁶.

خلاصة:

مما سبق عرضه في هذه الورقة البحثية، يتبين لنا أنّ الأسلوب التكاملي له أهمية كبيرة في تعليم مهارات اللغة العربية، على عكس الأسلوب التفرّيعي فهو يحدث انفصاما بين النظرية والتطبيق، وبين المعرفة وتنمية المهارات، ويحدث تجزئة المعرفة وتقسيمها بما يتعارض مع تواجدها في الحياة، فتصبح أية مادة في ضوء هذا التفرّيع والتجزئة مجرد مادة يتوجب حفظها واستظهارها يوم الامتحان، ولهذا يجب التأكيد على ضرورة تعليم اللغة وفق أسلوب المنهج التكاملي، لأن اللغة كلّ متكامل ومتماسك، ولا يجوز تقسيمها إلى فروع مستقلة إلا بغرض تيسير دراستها، فتعليم مهارات اللغة يجب أن يتم بشكل متزامن وبطريقة متكاملة ومترابطة، فيكون المتعلم عندئذ قادرا على حسن الاستماع والفهم، والحديث بطلاقة، والقراءة الجيدة والواعية، والكتابة السليمة الخالية من الأخطاء وفق المنهج السالف الذكر، فينمو نموًا لغويًا متوازنًا، لا تغطي فيه مهارة على أخرى، وتحقق بالتالي جميع الأهداف المرجوة من تعليم اللغة العربية في المرحلة الابتدائية.

الهوامش والإحالات:

- 1- أحمد عبده عوض: مداخل تعليم اللغة العربية دراسة مسحية نقدية، معهد البحوث العلمية، مركز البحوث التربوية والنفسية، مطابع جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2000، ص21.
- 2- عبد الفتاح حسن البجة: أصول تدريس اللغة العربية بين النظرية والممارسة المرحلة الأساسية العليا، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان الأردن، 1420هـ، ص217.
- 3- أحمد محمد رشوان: أثر تكامل منهج اللغة العربية في الأداء اللغوي لتلاميذ الصف الثالث الابتدائي، مجلة القراءة والمعرفة، الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة، كلية التربية، جامعة عين شمس، العدد 38، 2004، ص25.
- 4- محمد صالح سمك: التكاملي في تعليم اللغة العربية، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، 2002، ط1، ص ص 37-35.
- 5- ينظر: عبد العليم إبراهيم، الموجّه الفني لمدرّسي اللغة العربية، دار المعارف، القاهرة، 1968، ط14، ص53.

- 6- صالح بلعيد: دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة، 2009، ط4، ص60.
- 7- ينظر: محمد صالح سمك، فن التدريس للتربية اللغوية وانطباعاتها المسلكية وأنماطها، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ص
- 8- ينظر: مرضي الزهراني، المدخل التقني في تعليم اللغة العربية مفهومه وأسس ومطالبه وتطبيقاته، بحث مقدّم في المؤتمر العالمي الأول للغة العربية وآدابها، إسهامات اللغة والأدب في البناء الحضاري للأمة الإسلامية، 28-30 نوفمبر 2007.
- 9- ينظر: أنطوان صياح، تعليمية اللغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2006، ط1، ج1، ص ص 131-132.
- 10- ينظر: فؤاد حسن أبو الهيجاء، أساليب وطرق تدريس اللغة العربية وإعداد دروسها اليومية، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2007، ط3، ص44.
- 11- عبد العليم إبراهيم: الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، ص50.
- 12- طه علي حسين الدليبي وكامل محمود نجم الدليبي: أساليب حديثة في تدريس قواعد اللغة العربية، دار الشروق، عمان الأردن، 2004 ط ع 1، الإصدار 1، ص115.
- 13- عبد العليم إبراهيم: الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، ص51.
- 14- نهاد الموسى: الأساليب مناهج ونماذج في تعليم اللغة العربية، دار الشروق، الأردن، 2003، ط1، ص75.
- 15- علي أحمد مذكور: تدريس فنون اللغة العربية، دار الشواف للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، 1991، ص58.
- 16- ينظر: محسن علي عطية، تدريس اللغة العربية في ضوء الكفايات الأدائية، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2007، ط1، ص ص 197-198.